الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

شرح كتاب مدارج السالكين · الحلقة 40

منزلة التوكل (الجزء الأول)

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الامين، وعلى اله واصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته، واستقام على شرعه الى يوم الجمع والدين، كتاب مدارج السالكين من الكتب الموفقة التي تمس جوهر الايمان، وتعالج كثيرا من قضايا العقيدة والتربية، وفي هذا الكتاب اخذ للنفوس نحو المراقي والكمالات، وقد تدرجنا وترقينا في مدارج ومنازل مختلفة، وكان اخر هذه المنازل منزلة الاستقامة ونحن بين يدي منزلة يعتبرها ابن القيم اوسع المنازل واجمعها، ويقول ان هذه المنزلة لا تزال معمورة بالنازلين، وذلك لسعة متعلق هذه المنزلة، المنزلة منزلة التوكل، وما من شيء في هذا الكون الا وهو يتوكل على الله، بل اتى ابن القيم بلطيفة عجيبة، قال احيانا اهل المعاصي يتوكلون في تحقيق معاصيهم اكثر من توكل اهل الايمان في قضاياهم، والدليل قال انك تجد لاهل الايمان ترددا، في بعض المسائل ولا تجد لراكب معصية او مقتحم جرم ترددا عندهم من الجرأة على امل الظفر والنجاة، فيركبون الاهوال ويقتحمون الصعاب، رجاء ان ينجيه الله ورجاء ان يسلم، فالتوكل يعتبر من اعلى واجل المقامات، واسميه التوحيد العملي، التوكل التوحيد ما تقول لي انا موحد وعندي عقيدة والله على كل شيء قدير.

والله بيد كل شيء والامور عند الله، ولما تنزني ما تسأل الله ولا تجري بس تجلس الناس وتتجهجه، ترى مو انت مؤمن، وسمي التوكل التوحيد العمل ولذلك بدأ ابن القيم الحديث عن التوكل بايات هي في مقام التوكل اما مقرونا بالثناء والمدح باصحابه واما مقرونا بذكر انبيائه الذين كانوا يقولون ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى

اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ وابن القيم يرى ان سعادة العبد ان يهبه الله توكلا وهداية ما بده عودة وبقيت متوكل بقلبك ده ما بتجيك عوجة نهائي ولفظ اوكل يوكل هو من الترك والقيام بشيء نترك اخر بشيء تقول انا وكلت فلان في العرس في حاجة اسمها الوكيل وكيل الزوج وكيل الزوجة يوكلوه للناس كويس وفيه زول افتح حاجة كبيرة يقوم للناس بامور يسميها وكالة وكانت كده للسفر والسياحة والحج والعمرة وكذا وبيسوي لكم شي قروشه فترك الشيء الترك واسناد الامر للقيام بالشيء هو التوكل وابن القيم كما سوف نعرف ناقش قضية عقدية مهمة الله وكيل للناس، لانهم يسندون امورهم اليه، فيقوم بها، ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ولكن لا يجوز ابدا ان تقول فلان وكيل لله.

لا يجوز، هذا قال ابن القيم في المدارك، يجوز ان تقول فلان ربي وكيلي، لكن لا تقول فلان وكيل عن الله، لانه لا ينوب عن الله، اما هو يقوم للعباد ويوكلونه، ﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ لكن هو لا يتخذ وكيل، لان اتخاذ الوكالة ضعف وعجز والله عن ذلك منزه، وفي دعاء السفر اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل، مرة كنت في سفر معزول كنا مسافرين انا وواحد من اخوانا، بعدين ما نام بالليل، انا قدر ما اصحى القى الزول دا بيتقلب، قلت له يا اخي ما لك؟ ما لك؟ قال لي والله شايل همه شقعة انت قل لي ما شايل هم ولا شنو؟ قال لي انت ما بتكون كتير قلبك ميت، قال لي كده، قلت له والله قلبي ما ميت، لكن انا ما شلت همهم مما قلت في العربية كنا ماشيين ببص اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل، قالوا ما عنده عودة، اخذت ايده لي لا اله الا الله قلت له معناهم قال لي والله انا الدعاء ده كله سفر بقوله اول مرة يجيني المعنى ده.

اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل انا يا زول بمشي مطمئن، انا يا زول سلمتهم من رب العالمين اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل، ولو يتلفت يكون انا قلبي ميت ما يعني ميت من ضعف الايمان، التوكل مقام من المقامات الرفيعة جدا، والتوكل دلالة على الايمان، ابن القيم له مقولة لطيفة، يقول الدين شطران توكل وانابة، الدين ده كله حاجتين، توكل وانابة، والايمان قسمان توكل وانابة، التوكل هو الاستعانة بالله الكاملة، والانابة هي العبادة، وذلك قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فالاستعانة توكل والعبادة انابة، ولذلك جعل الله التوكل دلالة على الايمان، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الايمان من علامات التوكل، وذلك لان الله عز وجل تكفل وقال ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى

اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ انتهى الكلام، حسبه اي كافيه، واولياء الله من دعائهم ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ وقلنا النص التاني شنو؟ انابة، ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ ولذلك دعاؤهم ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾؟

يا اخواننا الحق يعني معاداة المجتمع ومعاداة المجتمع لا يمكن ان تصادم الا بعقيدة راسخة وتوحيد ثابت وتوكل ناصح، ما الرسل قالوا كأنه متين، لما قال لهم قالت لهم اقوامهم ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ فردت الرسل ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا﴾ ولذلك اجل مقام يحتاج الى توكل، الدعوة، ما بتلتفت للبشر، ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، وقالها ابراهيم عليه السلام لما القي في النار قال حسبي الله ونعم الوكيل، وكذلك حتى الشورى، تحتاج الى توكل، لان الشورى قد تؤتي باكثر من رأي فيضطرب الامر، عشان كده قال ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ شفت الامور السياسية بتاعة الناس، لو بقى ما في توكل يقول لك اعمل كده ولا ما اعمل كده؟ ننزل الجيش ولا ما ننزله؟

لحد ما يقتلوا الناس ويذبحوهم والساعة واحدة ينزلوا الجيش، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام في الصحيحين في حديث السبعين الف سبعون الف من امتي يدخلون الجنة بغير حساب، فعد الذين يسترقون فمن كان به مرض وترك طلب الرقية توكلا وكمالا هذا دلالة على التوكل، ولا يكتوون ولا يتطيرون يتشائمون، قالوا على ربهم يتوكلون، واخبر النبي عليه الصلاة والسلام ان التوكل حتى في الكائنات، لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق شنو؟ الطير، والتوكل كما قال ابن القيم من اوسع المنازل واجمعها لمتعلقه بالارزاق ولا يستغني عن الارزاق خلق، فكل الخلق يسعون في سبيل تحصيل ارزاقهم ومع كلهم في قلبه امل، وهذا الامل في تحصيل الرزق يتحول ويصير توكلا، شفته كيف؟ ولكن ابن القيم يقول ويا سلام على ابن القيم، يقول التوكل من اوسع المنازل واجمعها واوعبها، مستوعب، غير ان المكلفين من العباد يتفاوتون في متعلق توكلهم، فمن الناس من يتوكل على الله في اقامة الدين، ومواجهة الكافرين ومصادمة المبطلين، وتفنيد شبه الضالين ومصادمتهم، ومن الناس من يتوكل على ربه في تحصيل رغيفه.

فرق ولا ما فرق؟ يرى ابن القيم عنده عبارة بسميها غبنة توكل، والله يا اخوان بن القيم عجيب يقول من غبن التوكل ان تتوكل على الله في امر يسير، قال الانبياء والرسل يتوكلون على الله في اقامة الدين، اقامة الدين توكل عشان تمضي الدين وحتى يثبت ده توكل ثقيل ومن الناس من يتوكل في المناظرات البدع يجي

يرد على اهل البدع ويناظرهم شف هود عليه السلام لما اجتمع قومه وناقشوه وناظروه ماذا قال لهم؟ لما ناقشوه في سورة هود الايات قال ﴿قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ قال لهم ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قال ابن القيم وقف هود يواجه اممًا من الخلق يخالفون دينه، غير خوال ولا جبان، ويعلنوا توحيده ويسفه الهتهم ويطعن فيها امامهم ويقول ان مقتضى هذا توكله على الله هسه انت مرات لو جيت تتكلم في السوق يقول لك ما تتكلفونا انتم قاعدين بيضروكوا ضروري كيف؟

يضروك شنو؟ كويس؟ فاذا التوكل اول شيء التوكل في الدين، بعد ابن القيم يقول من غبن التوكل اذا اردت ان تتوكل في دنيا في دنياه، كلام عجيب قال من الناس من يتوكل في دنيا توكله تحصيل ملك، ومنهم من يتوكل غاية توكله رغيفات، قال لك في رغيفات، ها؟ يعني دا معناه غبن التوكل، هذا ما يسميه القيم رحمه الله تعالى قبل التوكل، لكن ابن القيم قسم اقسام المتوكلين على درجات ومنازل، اعلى التوكل التوكل في اقامة الدين ومواجهة البدع، وفي توكل اقل منه من يتوكل على الله في استقامة نفسه وحفظ احوال مع ربه بس بيتوكل بالليل والنهار اسأل الله انه بس هو يبقى ثابت في الدين ده بس خلاصته كله انه يبقى ثابت في الدين ما عنده شغلة بالناس لا دار ينشر الدين ولا دارك بعنصر فاعل بس دارك في رقبته ومنهم من يتوكل عليه في نيل رزقك كويس او عافية او ولد او زوجة ومنهم من يتوكل على الله في تحصيل اثامه وذنوبه، طيب ما معنى التوكل؟

في الشرع؟ التوكل ده معناه شنو؟ انقسم علماء السلوك والتربية في الاسلام في التوكل الى قسمين، قسم يرى ان التوكل عملا وقسم يرى ان التوكل معرفة وعلما، ومن الذين قالوا ان التوكل عمل الامام احمد كان يقول التوكل عمل القلب، وبعضهم قال التوكل ليس عمل القلب، التوكل علم بكفاية الرب للعبد، انت كان استيقنت وعلمت ان الله مكفيك بالتوكل، حتى ولو لم تفعل شيء فكأن التوكل محله المدركات والعلوم والمفاهيم، كأنه توكل شيء نظري، ومنهم من يرى التوكل انطراح القلب بين يدي الرب، انطراح القلب بين يدي الرب، ومنهم من يرى ان التوكل الثقة بالله والطمأنينة اليه اليه سبحانه ومن اجمل ما لقيني في تعريف التوكل مما اورده ابن القيم رحمه الله في التوكل قال التوكل ان ترد عليك موارد الفاقات الفقات الحاجة مرض العلاج كيف؟ انا اسوي شنو؟ ترد عليك موارد الفاقات، قال فلا تسمو الا من عنده الكفايات، هل عنده الكفايات منو؟

الله الواحد الاحد، ومن اجمل ما ايضا وقفت عليه قولهم التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب، وهذا معناه التوكل اضطراب بلا سكون، وسكون بلا اضطراب، التوكل محله القلب والجوارح، فمن التوكل اضطراب الجوارح فلا تسكن، من باب تعاطي الاسباب وسكون القلب فلا يضطرب، يعني المتوكل ساعي في ارزاقه بجوارحه مضطرب عنه، يمشي يفتح الدكان وش؟ يجيب البخور ولا رايكم شنو؟ ها؟ البخور دا؟ لكن كان بيجيب الرزق دا شرك في بخور بيجيب له رزق يا وهمان ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ترش المحل بالموية هذا من باب الاضطراب اضطراب بلا سكون وفي نفس الوقت سكون ان يستقر القلب وان يثبت ولا ان يضطرب في شيء طالما انك فعلت بجوارحك وسعيت السعي الذي يرضي ربك بعد ذلك لا يلتفت قلبك ولا يتضجر لقلة رزق او لكثرته، وهذا التوكل الحقيقي، وقال ابن القيم التوكل نفي الشكوك، والتفويض الى ملك الملوك، صحيح، كان في الشكوك عن قلبك، وتفوض امرك كل امورك الى ربك، ان الذي يخرج من بيته من السنة اول دعاء يقوله بسم الله، بسم الله شنو؟

توكلت على الله، لا حول ولا قوة الا بالله، يا اخي؟ يا اخي الزول يطلع من البيت ويدور العربية يا اخي لحد ما يصل ما يقول بسم الله ولا الحمد لله، ولا دعاء ركوب السيارة ذاته، بسم الله ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هُذَا﴾؟ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هُذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ وما معنى مقرنين؟ لها معنيان مقرنين جامع يعني لن نجمع هذا من عندنا، ويقول لك قرن بين الشيئين معناه شنو؟ جمع بينهما، والجمع بين ذكر وانثى يسمى قران، وما كنا له مقرنين، ومقرنين ايضا اقوياء، يعني بقوة منا سخرت لنا لن نجتمع على هذا ولم نجمع الخير بانفسنا وليس بقوة منا ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ حتى يتذكر الانسان حال النعم الاخرة والموت فتتكدر عليه النعم فلا يطغى بها، زول راكب عربية اخر موديل يقول وانا الى ربنا لمنقلبون، يعني بتخليها وتمشي الغبر هناك؟ والله تخلي يا اخي الليل في زول بلاوي الزبون راكب عربية الصبح يقول ان ربنا لمنقلبون، زول يخليها وينقلب ساكت الى الله!

والله تنقلب الكلاب! والله تنقلب انقلاب فيه فايدة، يعني ذاته انت راكب احسن حاجة وبتتذكر النخلة، عشان زاته ما تطمئن اطمئنان شديد، وانا الى لمنقلبون، ايضا مما ورد في التوكل التوكل قال طرح البدن في العبودية، جسمك ده يكون في العبودية والتسليم لله، يا اخواننا اسألكم سؤال شخص عنده متجر لا يذهب الى صلاة الجماعة ولا يغلق المتجر اترى عنده توكل؟ عنده توكل؟ بيتخيل انه بس العشر دقايق بيقفل فيها الدكان الصبح ما يبيع بسمع الاذان يجيبه ناس عشرة عشرة يجوه يقول لهم يا ناس انا داير وش اصلي؟ يقول لك يا اخي ما استفتحنا يا مولانا من الصباح كذا خلينا نستفتح نقول له استفتح يقول لك ما استفتح

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ تكسر دكانك وتمشي شنو يعني؟ الجامع ما له؟ ها؟ وزول يصلي جنب الخزنة وكل مرة يعاين الخزنة، ده توكل ده توكل على الله ولا على الخزنة؟

ها؟ المؤمنين بتوكل على رب العالمين، طرح البدن في العبود وتعلق القلب بالربوبية بالتصريف والملك والتدبير وكذا، والطمأنينة الى الكفاية، اخوانا مشكلة كثير من الناس انهم الله بيديهم كلهم، لكن الكفاية والرضا قليل في الناس، وهذا سبب الضجر والقلق، والاشكالات الموجودة عند الناس، والله العظيم تعاين وتتأمل في نعم الله وفي افضاله، عليك وعلى سائر العباد لتحمد انه بالليل والنهار ولذلك قال فان اعطى شكر وان منع صبر، طيب قال ابن القيم يا سلام التوكل هجر العلائق ومواصلة الحقائق، هجر العلائق كلما من شيء يعوق القلب ويمنع الايمان و يفسد الطمأنينة والاعتماد الى الله هذا لا شك انه من مفسدات القلب، ابن القيم عنده عبارات يسميها العوائق والعلائق، لكن ليس في كتابه المدارج انما في الفوائد، قسم ما يعتلي القلوب الى قسمين، قسم سماه بالعلائق، وقسم سماه بالعوائق، وقسم سماه بالقواطع، يعتبر ان القواطع اشمل، كلما يقطع قلب الانسان واسترسال القلب وانطراحه بين يدي الله هو من القواطع، هذه القواطع اما علائق وهي قواطع من الداخل واما عوائق وهي قواقع من الخارج، العلائق النفس وما يرتبط بالنفس بمتعلقات والعوائق الذرية ممكن تكون من العوائق التي تجعلك تتعلق بالذرية اكثر من الله ممكن تكون امرأة عوائق تعوق قلبك وتصير هذه اذا ما تمكنت تصير على ايقاع علائق متعلقة بالقلب علائق واحد تلقاه المرأة برة لكن قعدوا جوة بس بالليل والنهار يفكر في المرأة بالليل والنهار وبعدين والله يا اخوانا العشق ده حقيقة.

العشق ده خطير جدا، يا اخي ابن عباس قاعد في عرفة، جابوا له شاب واثنين، وذهبت نظارته، واصفر لونه، ابن عباس قال لهم الدنيا عرفة والناس واقفين في عرفة ما له؟ قال ما له؟ قالوا عاشق وعشان ليه واحدة متزوجة؟ يعني طلقوها ليه ولا كيف؟ ما في طريقة بس الا يمرض كذا الناس في عرفة يدعو فما زال دعاء ابن عباس في سائر عرفة اللهم اني اعوذ بك من العشق يا اخي؟ يا اخي البنية انا والله اقتنعت والله لو تبكي قدامي وقدام ابواب انا بحبه تقول يا شيخ انا بحبه لا اله الا الله، والله انا جربتها، والله ما تتخلع، في النهاية قالت لنا اصبروا انا ابوي ما بتزوج غيره بسمع كدا بس، لا اله خير، يا ناس يا اخي زمان وسلم قال البكر قال اذنها صوماتها يا اخي حسها تجيبه من الجامعة تقول لابوها باكر صاحبي جاي يخطبني والله تبكي بكاء؟

حاجة عجيبة خلاص، كويس؟ في الناحية قالت لي يا شيخة؟ يا اخي ما تشوف لي بعدين علاج، قال لك ابن سينا قال جابوا له ولد من اولاد الامرا، لقاه تعبان شديد لا اكل شرب قال الدكاترة يقول لك عنده كذا افحص الدب افحص البول قال فكر لقاه مصفر ونومه قليل وحركة العين دي اعراض طبية مناسبة اخيرا ادخل الطب الحديث العشق جملة الامراض لانه يؤثر على البدن يعمل حبا ويعمل صداع قال ابن سينا قال لهم كده جيبوا اسماء القبايل او الاسماء العوائل الموجودة ما زكروا عائلة معينة قلبه بدأ يدق بسرعة قال له كيف؟ جيبوا اسماء البنات الموجات في العائلة كلها لم بقى يجروا وهو الراجل ساكت الزول مما جابوا اسم بيت معينة قال لك قلبه ده بقى يدق؟ عرسه عرس الجد للولد قال لك ما شاء الله يا اخي والله ربنا يكفي الشر ربنا ما يبتليك عشان كذا انت عارف قال لك المجيب العشق شنو؟

البصر اول حاجة العشق سببه امران استحسان سورة المعشوق مع تمني وصاله اغمض عيني وقل للمؤمنين يغضوا ما توقع نفسك في متاهات ما تعيب في مرة نهائيا ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فالتوكل هجر العلائق اي حاجة فيها تعلق ما تتعلق بها، ومواصلة الحقائق اي تعاطي الاسباب، دعاك شنو؟ تعاطي الاسباب، طيب ابن القيم يقول في تعريفات التوكل وحقيقة التوكل التوكل مركب من امور، يعني لا نستطيع ان نعطي، انما التوكل مبناه على امور، الامر الاول معرفة بالرب، بصفاته واسمائه، تتوكل على الله، لما تعلم قدرته وقيوميته وكفايته وغناه وعلمه ورحمته بعباده وجزيل عطائه يحملك هذا على التوكل؟ فالتوكل بدايته المعرفة بالله عز وجل، الامر الثاني الذي يتركب منه التوكل اثبات الاسباب والمسببات، يا سلام ابن القيم يرى ان اسقاط اسباب ليس توكلا انما هو اضاعة او لم يقل له اعقلها وشنو؟

وتوكل ان تتوكل بعد ان تبذل ما طلب منك في اطارك البشري من بذل الجهد، فان اردت الذرية تزوج وبعد الزواج وجود الذرية ليس منك وليس من احد ولا من الاطبا ممن؟ من الله رب العالمين، لكن بعد ان تتزوج هذا السبب، عرفته؟ طيب، يقول الله تعالى عن النار ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ يعني توقدون ﴿أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾؟ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ تتذكر الاخرة ﴿وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ المقوين للمسافرين جعل الله النار سببا لانضاج الطعام، هل يمضي الطعام بغير ان يتعاطى هذه الاسباب؟ ها؟ كيف؟ لا يكون، ولكن احيانا يبطل الله مفعول النار كما ابطلها في ابراهيم مع ابراهيم عليه السلام، طيب الدرجة الثالثة

وسوخ القلب في مقام توحيد التوكل، بمعنى لا يلتفت القلب الى غير الله، رابعا اعتماد القلب على الله واستناده وسكونه اليه اخوانا ابن القيم جاب مثال عجيب يا سلام، قال توكل المؤمن على الله كتوكل الربيع على ثدي امه، صح؟

الربيع ده لما يمسك في سجن هو لا يعرف الا شنو؟ الا هذا الثدي، ولذلك تجده منهمك ولا يلتفت، الذي تعلق بالله وتوكل اليه لا يلتفت الى البشر ابدا ولا الى عطائه، وقال ابن القيم التوكل حصن بمثابة من طلبه عدو، فدخل حصنا منيعا ينظر الى العدو والعدو لا يستطيع ان يصله، من توكل بالله تحصن، ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ اخوانا في ناس ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ في نوع من البشر عنده اي حاجة يقول لك عندي عهد، ما نجح في الجامعة يقول لك عندي عارض عامل لي عمل، ما توفق مع مرته يقول لك عندي عارض ما كدا ما عارف يقول لك عندي عارض، اذا ما عارف، انت عندك اوهام في راسك، عندك وهم؟ شف على الخواجات وبعدين شف الواحدة ولدها يسقط تقول لك طق له عين طق له عين؟

مش اول الشهادة السودانية في كل سنة ليه؟ مش كل سنة في اول الشهادة السودانية خلوا الاوهام دي يا اخي الناس زي اي حاجة بس كده عالم ما وراء المادة دي حاجة يمسكوا فيها، وهذا يدل على ضعف الايمان، وعلى ضعف التمكن، المسألة الخامسة والتي يقوم عليها التوكل حسن الظن بالله، ولابن القيم قاعدة، على قدر حسن ظنك بالله يكون عظم توكلك وصحته، على حسن ظنك بالله يكون عظم هذا التوكل وصحته، والمسألة السادسة استسلام القلب لله، وقطع كل المنازعات، وسابعا من التوكل التفويض، والتفويض القاء امورك كلها لله، وهو لب التوكل وجوهره، والمنزلة القادمة هي منزلة التفويض، التفويض، وابن يرى ان التوكل اعم وان التفويض اخص، فيرى ابن القيم ان اعلى درجات التوكل هي شنو؟ هي التفويض، والدرجة الاخيرة في التوكل الرضا، الرضا، يا سلام، الرضا ابن القيم يقول الرضا لا يعني التعرض لاقدار تقول لله يا الله جيب لي مصيبة كدي كبيرة عشان انا اثبت فيها انت في عافية اسألوا الله العافية لكن اذا نزل القدر ان ترضى به حتى اورد ابن القيم في المدارك هنا ولعلي ذكرت هذه القصة.

قصة سنون او سمنون ابن يزيد الخالدي، الذي كان يقول لله اصبني، واريك مني صبره، قال ابن القيم فاصابه الله بعسر البول، حبس بول، قال فصار في الشوارع وهو متعسر فاذا وجد الاطفال يقول ادعوا لعمكم الكذاب سمنوه، والله يا اخوان ربنا رحيم بنا والله، انت ما تمشي، قلت خليك في سلامة وفي عافية، ناقش ابن القيم علاقة دعاء الاستخارة بالتوكل، قال رحمه الله ودعاء الاستخارة فيه من المعارف الالهية

والحقائق الايمانية الكثير، فانت تفوض امرك لله، تقول افعل ما ينفعني، طيب واضح اخوانا الكلام ذا؟ يقول لي الله اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك بفضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم انك ان تعلم الغيوب، اللهم ان علمت هذا الامر فسمه، قلت خير لي في ديني ودنياي واجل امري واجله، خذ فيسره لي، انتهى الكلام، وان علمته شر لي، قال فاصرفه عني، لكن شوف الدعاء دا كيف كان، الله ممكن يصرفه عنك، لكن انت ما يصرفك منه، تبقى متعلق بيه تعلق بس تقول اريته لو كان وظفوني، ثم قال لك ما في وظيفة، انت استخيرت ومشيت.

قال ليك ما قبلناك، لكن هو يقوم يقول شنو؟ والله بس لو كان وظفوني في ايديك، دا صرفه عنه ولم يصرفه، وان علمت شر لي في ديني ودنياي وعاجل امري فاصرفه عني واصرفني عنه قال واقدر لي الخير حيث كان قال ثم رضني به لانه بعد ما يصرفك وينصرف بالليل والنهار، عمرك كله تقول بس لو كنت قدمت لو ما كان فاتني، البت العاشقة دي قلت لها انت استخيرتي؟ قالت لي ايوا، فاصرفه عني سكتت قلت لها استخارة زي ما هي قلت لها لكن فاصرفوا عني طيب انت ما كنت اقول اياه حاسة الله سلط ابوك يصرف الزول دا منك انت ما كانت تقولي تصرفه عني، في زول بيتخيل انه الاستخارة دي يقول لك ما شفتك النوم، ما استخرت وما رأيت حد، يا زول ما في حاجة بتشوفوها، الاستخارة دي يا الله سهل الامر، وربنا سبحانه وتعالى الموضوع ده كان مشيت فيه بيضرك بعدين ضرر كبير في المستقبل، عرفته؟

بعدين الواحد تلقاه يستخير، يقول لك يا مولانا والله انا استخيرتك، لكن ما شفت اي حاجة، انت راجل تشوف ولا شنو؟ تشوف شنو؟ يا اخي بالله يخلينا من الكلام دا يا اخي امشي طوالي في الموضوع يقول لك يا مولانا يا اخي ربنا ما قبل الاستخارة يقول لك كيف ما قبل؟ المحك الحقيقي في الاستخارة القبول او الرد اختم هذه الجزئية يا سلام، والله اخوانا يعني انا من اريح المنازل اللي مريت عليها في المدارج التوكل، يعني في منازل انا عندي معاقب شديد، منزلة الصبر، ابن القيم، منزلة المحبة، شوف العبودية كلها محبة، يا اخي المحبة دي منزلة عجيبة، منزلة الحياء، دي من الرهيبة، منزلة الادب، الحياء براء والادب براء، دي من المنازل اللي ابن القيم يعني فصل فيها تفصيل عجيب، من هذه المنازل التوكل، اجد ان منزلة التوكل من المقامات الرفيعة السامية ابن القيم عقد فصل سماه اشتباه الكامل المحمود بالناقص المذموم، التوكل كامل محمود، الاضاعة والتواكل قد يظنه بعض الناس توكلا وهو ناقص مذموم، فيختلط بالكامل المحمود هو شنو؟

هو التوكل فيسعى بعض الناس في اموره ظانا انه متوكل ولا يعرف انه مضيع، قال والفرق بين التفويض والاضاعة التفويض يكون في حقوق العبد، واما الاضاع في حقوق الله؟ الزوج يضيع حق الله ويقول لك انا شنو؟ لكن التفويض الحقيقي حق الله، وفي امورك انت قروشك حاجاتك تفوت لله، لا تفوض لله في حقوقه، يشتبه المتوكل المجتهد في الاسباب والاخذ بها وبين العامل على الراحة والمعطل للاسباب، ابن القيم يرى ان خلع الاسباب لا تعطيلها، يا سلام! تخلع الاسباب ولا تعطلها، تخلع الاسباب من القلب، لكن لا تعطل الاسباب من الجوارح، متى تكون الاسباب شركا؟ اذا صارت في القلب مثلا دكان انا عندي دكان بتاعة بيرات ده سبب الله معيشني منه، الدكان ده لازم افتحه، واجيب بضاعة وارسل برة واشوف السوق داير شنو؟ ده اسباب، يوم اللي اقول انا كملت دكان دا كنت ضعت وبقيت الدكان دخلت في قلبي انت بقى الدكان ده شرك بالنسبة لنا، يعني احيانا تصير الاسباب ارباب، والمطلوب شرعا خلع الاسباب من القلب لا تعطيل الاسباب من الجوارح، اما اللي يقول لك انا لا افتح دكان ولا اقرأ واقلب في بيتنا والله يجيب لنا الرزق.

ده زول معطل للاسباب مفضي الى الالحاد، ما عنده توحيد، ده بعكس التوحيد بالمناسبة زول يقول لك انا ما اشتغل نهائي بس اقلب كذا الله يجيب لي؟ قلت يا اخي ربنا قال ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ ففرق بين خلع الاسباب وبين شنو؟ تعطيلها اشتباه بين الثقة في الله هو كامل محمود وبين العجز والغرور، وهو ناقص مذموم، واثق في الله بعد اداء ما امره، والعاجز والمغرور الذي اغتر الذي لم يعمل عمل ولم يحرث حرث ولم يزرع زرع ويرجو بذرها وحصادها، لا يصلي ولا يصوم ولا يعمل خير يقول لك انا قال عندي ثقة في الله قال، لكن في اشتباه ابن القيم عجيب في قال شنو في الاشتباه ده؟ الاشتباه بين الطمأنينة الى الله والسكون اليه وبين الطمأنينة للمحسوسات، والسكون اليها، بعض الناس يكون متوكل يبدأ متوكل يقطع اي صلة بالمحسوسات يمسك له في حاجة واحدة بس ويخلي الحاجات التانية الحاجة دي خلاها حتى لا تخدع في توكله تعلقه الجديد بهذا الواحد وبهذا الباب صار قادحا في توكله، يعني زول مرات بيكون قايل نفسه متوكل عليه الله، ما بكون متوكل عليه الله.

بيكون متوكل على شيء معلوم، الفرق بين التوكل على والطمأنينة الى الله، السكون اليه وبين الطمأنينة والسكون لشنو؟ للمحسوس المعلوم، ضرب مثال، قال، زول قاعد في الحرم، بعدين ما قدر يطلع من الحرم كثير، قاعد في الحرم ده ما بيطلع ياكل، لو جبت الاكل جوة حرام ما بياكل لو وديته اي حاجة بياكلها، قال لك بس بيشرب زمزم، ابو سليمان الداراني قال للرجل ارأيت لو ان بئر زمزم غار، اين تذهب؟ قال تهتز الرجل، وقام الى ابي سليمان وقبل رأسه، قال اراني اياما قد توكلت على زمزم ولم اتوكل على الله، وقص ابن القيم

عن الامام احمد انه سأل رجلا يخرج الى السفر والحج معه رفقة لا يحمل زاد نهائي لا يشيل اي حاجة ليس معك شيء من القود قال ليس معي شيء قال ومن اين تأكل قال لفقائي يحملون الطعام، ويدعونني للذات فاصيب معهم، قال له الامام احمد اذا قل على تراب القوم توكلت، على تراب القوم شنو؟

توكلت، انت على جراب القوم ومتوكل على الله لانك برضه الاكل بينادوني طيب مين اللي لو انت ماشيك؟ كويس على تراب القوم توكلت شيء عجيب ولذلك جاء ابن القيم في اخر هذا الفصل اشتباه علم التوكل بحال التوكل، اشتباه علم التوكل بحال التوكل، ممكن ان تكون حافظ للتوكل، وعارف لمعنى التوكل ولكن عند المحكات العملية لا تستطيع ان تنزل التوكل، انت عندك علمي توكل وليس حال توكل، صح؟ اسباب كده درجات كده لو عملت كده بتكون متوكل، اقل زنقة انت اللي تجحدها انت عندك شنو؟ بيكون من التوكل علمه وليس حاله، حال التوكل ان تعيش التوكل حقيقة، ولذلك يقول ابن القيم خلاصة فهذا الباب يكثر اشتباه الدعاوى بالحقائق، والعوارق والافات القاطعة بالاسباب الموصلة، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ صحيح، العوارض من مطالب يعني شنو؟ انت بتكون طالب لك حاجة، الحاجة الطالبة لذاتها، تتعلق بها يبقى لك عارض من العوارض زاته عن ربك، زي الزول اللي طلب زمزم وقعد في ايام بقى اعتماده كله على شنو؟ على زمزم، لم تنتهي منزلة التوكل بعد، الدرس القادم الى الان لم نتكلم عن كلام الهروين كل الذي مضى هو كلام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى والدرس القادم نواصل في قضية التوكل مع بيان بعض نماذج.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/halqa/40/شروح-الكتب/شرح-كتاب-مدارج-السالكين/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com